صورة المدينة في شعر مصطفى جمال الدين اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) مثالا

م.م عبدالامير دلي مجباس

وزارة التربية العراقية/ مديرية تربية ذي قار/ قسم تربية الشطرة

alzydyb176@gmail.com

المستخلص:

إنَّ الاهتمام بـ(المدينة) في هذه الدراسة الأدبية لا يتخذ من المدينة موضوعاً أساساً لها، بل إن الاهتمام بها يأتي من كونها رمزا بما تحويه من الأبنية والقصور الشامخة ، والمؤسسات العلمية و بما تثيره في النفس البشرية من الإحساس بالكرامة والكبرياء فهي ترمز للقوة والثبات والصمود .

وقد تناول الباحث تلك القضية (عرضاً وتحليلاً) مركزاً الحديث عن خصائص ومميزات المدينة الفاضلة في نظر الشاعر ، وما تبرزه من مظاهر فنية سلك الشاعر فيها طريقها بما تحمله أبياته الشعرية من خصوصية موضوعية كونها تتطلب عرض المحتوى الإنساني العام في إطار من التجريد والعمل الدؤوب بعيداً عن ملامح الشخصية الشعرية الضيقة.

الكلمات المفتاحية: (المدينة ، المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) ، ألجواهري، مصطفى جمال الدين).

The image of the city in the poetry of Mustafa Jamal al-Din Utopia (utopia) is an example

M.M. Abdul Amir Dili Mujbas

Iraqi Ministry of Education, Dhi Qar Education Directorate, ,Shatra Education Department

Abstract:

The interest in "the city" in this literary study does not take the city as its basis. Rather, the interest in it comes from being a symbol of what it contains of buildings and lofty palaces, and scientific institutions and with what they evoke in the human soul of a sense of dignity and pride, as it symbolizes strength, fortitude and steadfastness.

The researcher dealt with this issue ((presentation and analysis)), focusing on the characteristics and features of the utopian city in the eyes of the poet, and the artistic manifestations that the poet pursued in its way with the objective specificity of his poetic verses as it requires the presentation of the general human content in a framework of abstraction and hard work. Away from the narrow poetic features.

Key words: (Al-Madina, Utopia, Al-Jawahiri, Mostafa Gamal El-Din).

١-إشكالية البحث:

تعتبر اليوتوبيا من القضايا الفكرية والفلسفية والأدبية المهمة ، وتحمل في طياتها الكثير من القيم الايجابية ، ولذلك لا يخفى الدور المهم لهذا العنصر في تنشئة النفس الإنسانية نحو إصلاح المجتمع وحل مشكلاته ، وتبعا لذلك كان لزاما علينا بيان ذلك الصورة الأدبية للمدينة الفاضلة في شعر مصطفى جمال الدين والتي يحاول البحث الكشف عنها وبيانها والتي قد تكون مخفية إلى حد ما .

٢- أهمية البحث

لقد ارتأى الباحث تناول تلك القضية ((عرضاً وتحليلاً)) مركزاً الحديث عن خصائص ومميزات المدينة الفاضلة في نظر الشاعر ، وما تبرزه من مظاهر فنية سلك الشاعر فيها طريقها بما تحمله أبياته الشعرية من خصوصية موضوعية كونها تتطلب عرض المحتوى الإنساني العام في إطار من التجريد والعمل الدؤوب بعيداً عن ملامح الشخصية الشعرية الضيقة.

اتجهت إلى دراسة هذا الموضوع (اليوتوبيا) في الإطار العام لمفهوم المدينة الفاضلة في إطار الصياغة الشعرية في أبيات متفرقة من شعر مصطفى جمال الدين متخذاً في ذلك منهجاً توزعت به الدراسة إلى مقدمة ومبحث أساس وخاتمة .

٣- أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن أهم الأسئلة والتي تتلخص بما يأتي:

١-ما هي أهم ملامح (المدينة الفاضلة) في شعر مصطفى جمال الدين .

٢-ما الصور والرموز والإيحاءات التي ضمنها الشاعر مصطفى جمال الدين للمدينة الفاضلة في نماذج مختارة من شعره .

٣- اثر مدينته (مدينة النشأة والاستقرار والعلم) على ذائقته الشعرية ومعجمه الشعري.

٤- الأهداف المرجوة من البحث:

تهدف الدراسة إلى بيان صورة (المدينة الفاضلة) في شعر مصطفى جمال الدين ، مركزاً الحديث عن خصائص ومميزات المدينة الفاضلة في نظر الشاعر ، وما تبرزه من

مظاهر فنية سلك الشاعر فيها طريقها بما تحمله أبياته الشعرية وقد تكون هذه الدراسة مفتاحا للبحث والتقصي عن هذه المفردة في شعر شعراء آخرين .

٥- البحث التمهيدي:

المدينة لغة واصطلاحا:

تشير المعاجم اللغوية إلى أن المَدِينة تعني (الحِصْنُ يبنى في أُصطُمَّةِ الأرض ، مشتق من ذلك ،وكل أرض يبنى بها حِصْنٌ في أُصطُمَّتِها فهي مدينة والنسبة إليها مَدِنِيّ والجمع مدائنُ ومُدُنٌ)[١] . والمدينة تعني أيضا (مَدَنَ بالمكان : أقام به . ومنه سُميت المدينة . وهي فعيلة وتجمع على مدائن بالهمز وتجمع أيضاً على مُدْنٍ ومُدُن)[٢].

أما في معجم العين للفراهيدي فان (مدن : المدينة فعلية تهمز في الفعائل،لأن الياء زائدة،ولاتهمز ياء المعايش لأن الياء أصليه_ [والمدينة اسم مدينة الرسول_عليه السلام،خاصة].والنسبة إلى المدينة مدنيٌّ للإنسان،وحمامة مدينية،فرّق بين الإنسان والحمامة،وكل ارض يبني بها حصن في اصطمتها فهو مدينتها،[والنسبه إليها مدني،ويقال للرجل العالم بالأمر، هو ابن بجدتها، وابن مدينتها]) [٣].

أما المعنى ألاصطلاحي فانه يؤكد إن المدينة (نظام نسيجي من العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، والسياسية والإدارية المتشابكة مع بعضها ... وهي تبقى قوية ما بقي النسيج مُحكماً، فإذا ترهل أصابها الوهن والعجز)[٤] .وبهذا التصوّر اللغوي والاصطلاحي تصبح مفردة المدينة خليطا متجانسا بوصفها حصناً منيعاً من جهة ومكاناً اجتماعياً من جهةٍ أخرى .

أما نظرة الفلاسفة إلى المدينة فإنها لديهم تتجاوز المكان إلى نظام من العادات والتقاليد ، فهم يرومون إلى تأسيس مدينة فاضلة مملوءة بالعدالة والمساواة ، يقول افلاطون (يجب أن تظل المدينة الفاضلة واحدة متحدة ، حكيمة بحكامها ، شجاعة بجنودها ، عفيفة بعمالها ، عادلة بما يقوم به كل فرد من أفرادها من الأعمال المتناسبة مع استعداداته ومؤهلاته . ومعنى ذلك أيضا إن فضائل المدينة لاتختلف عن فضائل الفرد ، وهي الحكمة والشجاعة والعفة، والعدالة)[٥] .

ويعبر افلاطون عن نشوء المدينة في جمهوريته ، وذلك على لسان سقراط بقوله : (أرى أن الدولة تنشأ لعدم استقلال الفرد بسد حاجاته بنفسه ، وافتقاره إلى معونة الآخرين، ولما كان كل إنسان محتاجاً إلى معونة غيره في سد حاجاته ، وكان لكل منا احتياجات كثيرة لزم أن يتألب عدد عديد منا ، من صحب ومساعدين في مستقر واحد، فنطلق على ذلك المجتمع اسم مدينة أو دولة)[٦] ، وهذه الفكرة – المدينة الفاضلة – نراها عند الفلاسفة العرب أيضا، إذ قربوا مفردة المدينة من أساسيات المدينة الفاضلة ، (فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة ، والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل ، والأمة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة ، هي الأمة الفاضلة)[٧] .

ويختم ابن خلدون اجتماعيا وفلسفيا مفردة المدينة فهو يفصلها ويقسمها ريفي وحضري ، موقع وموضع ، فهو يرى إن الموضع هو الذي يمثل المكان الذي تغطيه (تشغله) المدينة .... ، والذي يشمل كل الخصائص الطبيعية لذلك المكان . أمَّا الموقع ، فهو الذي يمثل مكان المدينة (موضعها) بالنسبة لما يحيطها من مساحة تتفاعل معها بشكل أو بأخر وهو بذلك قد رسم العلاقات المكانية على ضوء ميزات الموضع والموقع ، وهو أول من حقق الريادة في فهم التخطيط المديني والاقليمي [٨] ، إما في الجانب الغربي فان توماس نور الانكليزي أول من صاغ كلمة (يوتوبيا) وطرح فكرة مجتمع مثالي في كتابه (المدينة الفاضلة) أو (يوتوبيا) ، وقد اشتقها من كلمتين يونانيتين بمعنى (لا مكان) أو (ليس في مكان) [٩] .

أنَّ الاهتمام بـ(المدينة) في هذه الدراسة الأدبية لا يتخذ من المدينة موضوعاً أساساً لها، بل إن الاهتمام بها يأتي من كونها رمزا بما تحويه من الأبنية والقصور الشامخة ، والمؤسسات العلمية و بما تثيره في النفس البشرية من الإحساس بالكرامة والكبرياء فهي ترمز للقوة والثبات والصمود .

مصطفى جمال الدين(ره) ...نبذة عن حياته :

ولد الشاعر الدكتور السيد مصطفى ابن جعفر ابن عناية الله جمال الدين في قرية صغيرة تسمى المؤمنين التي تتربع على ضفتي نهر الحميدي . أكثر بيوتها من القصب وقليل منها توجد فيها غرفة أو غرفتان . في قضاء سوق الشيوخ في محافظة ذي قار جنوب العراق ، في الحادي عشر من جمادي الأولى ١٣٤٦هـ الموافق ٥-١١-١٩٢٧ ، ثم سافر إلى النجف الأشرف ليحط رحاله هناك حيث وجد النجف أرضا خصبة للعلم والمعرفة والأدب ثم أكمل دراسته الجامعية والعليا حتى نال شهادة الدكتوراه عن أطروحته الموسومة (البحث النحوي عند الأصوليين) [١٠] ، ثم تنقل الشاعر بين البلدان حاملا غربته وحنينه إلى وطنه وأساتذته وقريته حتى توفاه الله في سوريا في ٢٣-٦-١٩٩٦[١١].

وقد كانت شخصية مصطفى جمال الدين ممزوجة بين شخصية الشاعر والأديب ذو الرؤية الفنية ، وشخصية العالم والفقيه والفيلسوف ، فهو بين شخصية الفنان الحالم الّذي يحيا عالمه الفني بحرية و شفافية أو تعبّر عنه بلغة خاصة ، وشخصية العالم الفقيه الّذي يزن الأمور بميزان العقل والمنطق ، وكان تأثير هاتين الشخصيتين واضحا في مجرى حياته .

نشأ شاعرنا في جو ريفي كانت الطبيعة فيه تتسم بغلبة المياه وندرة اليابسة وكان الجو فيه صافيا ، وكانت القضايا العشائرية الجميلة محيطة به من كل جانب ومكان ، إلا إن هذا الحال لم يدم طويلا فسرعان ما ارتحل إلى مدينة النجف الأشرف تاركا وراءه أحضان الطبيعة وزخرفها ، وقد كان مصطفى جمال الدين محور وصل بين أدباء سوق الشيوخ وأدباء النجف الأشرف حتى كون جماعة أو أسرة (الأدب اليقظ) وهي (جماعة أدبية تكونت من محبي الأدب من الشباب النجفي) [١٢] ، وقد تميزت هذه المرحلة من حياته بالبحث العلمي والنشاط الأدبي لكن دوام الحال من المحال ، إذ داهمت هذه المرحلة عوامل ومنغصات تركت بصمة واضحة في شعره خاصة تملأها اللوعة والحنان ويغلفها الحزن والغربة التي فرضت على الشاعر بعدما ضيق عليه الخناق في العراق ثم هاجر منه إلى الكويت ثم إلى سوريا وفيها حط رحاله حتى وفاته ١٩٩٦[١٣] .

٦- منهجية البحث :

أولا : مدينة النشأة : (سوق الشيوخ) مدينة مصطفى جمال الدين الفاضلة :

يقول الشاعر[١٤]:

سوق الشيوخ وأنت انظر جنة في هذه الأرياف ذات قطوف

طابت لياليك التي ما دنست ساعاتها بالإثم والتزييف

يتحدث السمار حول مواقد إل النيران في ظل هناك وريف

بدأ شاعرنا هنا قصيدته بـ(سوق الشيوخ) وهي مدينته الأصلية وهو متأهب في ذلك لإطلاق العنان لعاطفته الجياشة تجاه مدينته ألام ، تلك المدينة التي صقلت فيه الخصال الجيدة ، وسطرت في مخيلته أروع الذكريات ، واصفا إياها بـ(الجنة) وليس الجنة فقط ، بل انظر جنة وهو حلم ومثال يوتوبيا بعيدة النظر لكنها تحققت في واقعه ومخيلته ، فـ(سوق الشيوخ) تلك الجنة النظرة أشعلت ضياء شعره ووميض قوافيه وخطت حروفها بأسطر من ذهب في ذاكرته ، فهي شريفة عفيفة لم تدنسها عهر العاهرات ولم تختلط ساعتها ودقائقها بالإثم وهي لحظات مثالية يعيشها الشاعر في تصوير جنة الريف مدينته الفاضلة .

هكذا يفكر الشاعر ، وهو يجتاح بدقة هوامش النسيان حول ما تعانيه تلك المدينة ، فهو ملهم بالتفاؤل والأمل وبريقه يلوح في أفق شعره وهذه يوتوبيا الحياة عنده ، وقد نظر مصطفى جمال الدين بعين التفاؤل والتأمل للوصول إلى عوالم روحية عوالم الجنة الأرضية التي يحلم بها وعاشها في سوق الشيوخ وهذا يدل على مدى الوئام بينه وبين الطبيعة ، وهذه أيضا فلسفة المدينة الفاضلة عنده لأنه شاعر ورجل دين والفلسفة والمنطق إحدى أدوات اشتغاله ، ولعل في هذه القصيدة تحريك للنفوس والضمائر لأهالي مدينته نحو حياة أفضل وعيشة هنيئة يحلمون بها ودعوة منه لهم للاهتمام بها وتجديد الثقة بالقيم الإنسانية الروحية فيها ، وباعتباره رجل دين قد يكون الدافع من وصف سوق الشيوخ بالجنة الأرضية هو تطبيق الأحكام الإسلامية على كل الأصعدة والمستويات في مدينته التي لم تكن تخلو مما يعارض هذا شانها في ذلك شأن كل

المدن ، فتطبيق الأحكام الإسلامية بين الناس يؤدي إلى خلق مجتمع مثالي وناضج وهذه فكرة المعلم الثاني الفارابي في تكوين المدينة الفاضلة(١٥).

إن ذكر اسم المدينة بشكل صريح ليس سردا فقط بل هو ذكر مغروس في نفس الشاعر يدلي بدلوه فيه ويغو ص إليه في بئره العميق عندما تحن النفس إلى المثالية التي عاشها الشاعر، فقد تحولت سوق الشيوخ إلى تيار متدفق من الذكريات الجميلة التي يقاوم بها مرارة اللحظة الحاضرة التي يعيشها وفيها اختفت شرور الواقع وبها اكتملت أحلامه بالسعادة وراحة البال والطمأنينة ؛ لان الجنة تختفي فيها شرور الواقع وتظهر جلية كل أشكال النعيم وسوق الشيوخ هي الجنة الأرضية التي وصفها الشاعر والتي تحقق له فيها كل ما ذكره في قصيدته ، كذلك فان ارتباط العالم الواقعي بـ(اليوتوبيا) بات أمرا واضحا بما تحمله من صفات العصر الذي كتبت فيه وربما تعكسه من اهتمام صاحبها وهي ترتبط بأحلام الإنسان وواقعه على حد سواء(١٦).

ومن الملاحظ أيضا في هذه القصيدة استخدام الشاعر لمفردة (النار) و(المواقد) وهذه من رموز الجنة الأرضية لديه ، وهو يتكأ كثيرا على هذين اللفظين ، إن ذكر لفظة(النار) هنا ليس اعتباطا ؛ بل هو وجود للشاعر وذاته فوجود النار هو وجود للإنسان الذي ترك الديار لسبب من الأسباب ، كذلك هو يفصح عن المودة والتآخي والتعاون واللقاء الجميل والعفيف ، وأيضا هي – (النار) – رمز للفخر بالقيم الأصيلة والفضيلة والكرم ، وبذلك فان هذا العنصر له (دلالة موضوعية وفنية فضلا عن البواعث النفسية من أهمية دفعت الشعراء إلى توضيفه في موضوعاتهم الرئيسية ...فاستعانوا به في تكوين صورهم الشعرية) (١٧).

إن صورة (النار) ورمزيتها موغلة منذ القدم في الشعر وبأغراض وصور متعددة لكن مصطفى جمال الدين وصفها بدقة واستخدمها كثيرا للتعبير عن روح التعاون والألفة ، فهو وان ابتعد عن مدينته وجنته الأرضية لكنه لم يستطع أن يبتعد بعيدا بمخيلته عن صورة مدينته الفاضلة وألفاظها ، وعلى الرغم من حرمان الشاعر من نعمة الحس البصري الواقعي الآني لهذه الصور الجميلة والذكريات الرائعة إلا انه بصيرته كانت

حاضرة في تلك المناطق الريفية وألفاظها ورموزها وكأنه يعيشها بكل دقائقها وتفاصيلها [١٨].

ويقول الشاعر في قصيدة أخرى [١٩] :

ورأيتني وأنا بجلّق مالئا سوق الشيوخ عليّ ست جهاتي
ماذا؟ أأقرب منه حين وجدتني أنأى فتلصقني به نبواتي
أم أنت يا وطنا تركت ربوعه نهبا لنار وغى ونار ترات
أزمعت ألا تعكسيه بخاطري إلا كما هو كالح القسمات
وطني رماد جنائن محروقة وأنا وأنت هنا رماد حياة

يتحدث الشاعر هنا عن غربته وعن مدينته الفاضلة الثانية البديلة وهي (جلق : اسم دمشق)، ففي (جلق) يطالع مصطفى جمال الدين وجوه الناس العامرة بالإيمان والثقة بالنفس، ويسره منهم ذلك الانسجام الذي ما بات ينفك عن انسجام مدينته الفاضلة (سوق الشيوخ) حتى يراها هي والعكس صحيح ، ولحظات الموازنة بينها وبين مدينته الأصلية جارية على قدم وساق في حله وترحاله ؛ ويعود السبب في ذلك لما وجده الشاعر هناك من حفاوة الاستقبال وسعة الصدر وتناغم الحياة وانسجام الناس فيما بينهم وهذا لا يعني مطلقا إن دمشق كانت تعيش حالة المدينة الفاضلة المثالية ، لكن الشاعر أراد أن يجسد ما يود أن يعشيه سابقا في مدينته من محبة ووئام وراحة البال ، فكل الجهات تعني (سوق الشيوخ) مدينته ، وكل الجهات تعني محبوبته الفاضلة فالحنين قد ملأ قلبه وأفاض منه .

إن الفعل الحركي في الاتجاهات الستة يجعل القارئ شريكا فاعلا في الشعور بالحنين والرغبة و مشاطرة الشاعر صدقه وإحساسه بمميزات مدينته الفاضلة وجنته الأرضية التي عاش فيها ومازال ، إن هذه الصورة جزء فاعل من اللغة الشعرية التي تمتع بها شاعرنا وهذا يجعل الأحداث تتنامى شيئا فشيئا محدثة أثرا فنيا ، وعنصر التشخيص هو الذي يقدم هذا الإيحاء بواسطة مداعبة أفق المتلقي[٢٠].

إن استحضار هذه الألفاظ (جلق ، سوق الشيوخ) وذكرها لم يأتي عبثا ؛ بل هو استحضار قدسية الماضي وتصويره تصويرا حقيقيا يبن مدى تاثر الشاعر، فتكراره

للألفاظ وذكره اسم قريته يشكل جزءا أساسيا في بنية العمل الفني وعنصرا مهما في التجربة الأدبية [٢١] وكأن هذا الاسم لا غنى عنه ولا منأى منه .

في كل ما سبق من شعر مصطفى جمال الدين ترى إلى ماذا كان يشير؟ وبماذا كان يحلم ؟ وحنينه إلى مدينته نابع من أي شيء ؟ انه ببساطة يتوق إلى مدينته ويذكرها في غدوه ورواحه لما عاشه فيها ولما يتأمله في أي مدينة يحط رحاله فيها من عيش كريم رغيد وحرية ومساواة وعدالة ووئام وانسجام ، أنها أحلام ليست بالصعبة أو المعقدة أو التي يصعب تحقيقها على ارض الواقع ، أنها اليوتوبيا الاجتماعية التي عاشها وتراوده في كل حين فقد(عبرت اليوتيوبات الاجتماعية طوال تاريخها عن أمل البشرية في حياة أفضل ...وقد كان من الطبيعي أن تتوجه كل اليوتيوبات على اختلافها إلى السعادة الاجتماعية غير المحدودة والوصول إلى المجتمع العادل الذي يتحقق فيه الإخاء والمساواة بين البشر كافة ويختفي فيه الفقر والعوز والحاجة) [٢٢].

ثانيا : مدينة الاستقرار: (النجف الأشرف) يوتوبيا مصطفى جمال الدين :

لا شك إن مدينة النجف الأشرف لها المكانة العظيمة إذا ما ذكرت مدن القداسة والأدب والعلم والشعر، وبالتأكيد إن من يحط رحاله فيها فانه سينهل من شطها الندي بالعلم والأدب والمعرفة وسيكون لها . النجف الأشرف . الأثر الكبير والبصمة الواضحة في أدبه وعلمه وشعره ، وسيكون لها موقع في نفسه ومخيلته وموروثه ، وكان كذلك عندما حط شاعرنا مصطفى جمال الدين رحاله فيها فابهره نشاط الحركة الدينية والعلمية والأدبية فيها فكان من المبادرين وأصبح من البارزين في ذلك الجو المشحون بالطاقة الايجابية آنذاك .

يقول مصطفى جمال الدين في النجف الأشرف [٢٣]:

يا رملة النجف الشريف تذكري ظمأ العيون ففي يديك المورِدُ
حنّت، فكان لها بذكركِ مسرح وشكت، فكان لها برملك إثمدُ
أشرقت بي نوراً، وغرسي ناعم وزهوت بي ثمراً، وعوديَ أغيدُ
ووقيتني غرر الشباب فما التوت قدم ولا امتدّت لناقصة يدُ
وعبرت بي نهر الكهولة، لم يضق ذرعاً بصاريتي الشراع المجهدُ

حتى إذا (الستّون) أثقل جذعها ثلج الشتاء، وباخ ذاك الموقدُ
الفيتُني وملاب رملك في مدى عينيّ من زهر الكواكب أبعدُ
ووجدتني أنأى، وأحمل في دمي من ذكرياتك ما به أتجلّدُ
أعزز عليّ بأن أراكِ فريسة لنيوب وحش لم يزل يترصدُ

إن القداسة الدينية والمكانة الدينية لمدينة النجف الأشرف فرضت عليها أن لا تكون مدينة اللهو والعبث فقد عرفت هذه المدينة بـ(بتحفظها الديني وبالتالي فلا نوادي أو مسارح أو سينما أو غير ها ، مما يلهي الشباب عن دراستهم أو يرفه عنهم ، بل إن المقاهي التي تقتصر على الشاي والقهوة كان يحضر على طلبة العلوم الدينية – اجتماعيا– ارتيادها فلم يجدوا خيرا من الشعر وسيلة للترفيه ، وهذا ما يفسر لنا كثرة الشعراء في هذه المدينة الصغيرة) [٢٤].

لقد خص الشاعر جمال الدين مدينة النجف الأشرف بإشارات كثيرة ومقاطع كاملة لأنها المدينة التي احتضنته وغذته بالزاد العلمي والأدبي والمعرفي الكبير، لقد توزعت ذاكرة مصطفى جمال الدين التي قضاها في النجف الأشرف في محاور متعددة أهمها : الإمام علي ومرقده الشريف ، والمؤسسات العلمية والأدبية والثقافية وحركاتها في النجف الأشرف ، وشخصيات النجف الأشرف[٢٥].

يا رملة النجف الشريف تذكري ظمأ العيون ففي يديك المورِدُ

إن هذه القصيدة متمثلة ببيتها (يا رملة النجف...) نقشت مع أبيات في واجهة قبره في مقبرة السيدة زينب (ع) ، إذ يبدو أن الظروف التي أحاطت بوفاة الشاعر لم تستطع تحقيق أمنيته في أن يتوسد رملة النجف الأشرف ، وأن يعود جسده إلى مكان صباه ونشأته واستقراره وهي النجف الأشرف ،وهذه هي(اليوتوبيا الضائعة) التي تمناها الشاعر، إن هذا العشق الأبدي الأزلي لمدينته الفاضلة يتجسد في رغبته وأمنياته لإطالة النظر بصرا وبصيرة لمحبوبته (النجف) حتى عد رملها وأرضها حجرا تكتحل به العيون وتشفى به العيون السقام ، فهو داء للبصر العليل وكما معروف فان البصر العيني والرؤية العينية له الأثر الكبير في صيرورة الحياة والتمتع بجمالها في المجالات كافة

وعلى كل الأصعدة ، فمن كان بصره سقيما سيشفى برملة (النجف) وسيكن لها الفضل ما بقي حيا .

ويقول في قصيدة أخرى[٢٦] :

وتملي يا رملة (النجف الأشرف) ورد الجنينة الحمراء

والغراسَ التي تفتق عطرا بين أوراقها دم الأنبياء

رويت من دماء علي بكوفان ورهط الحسين في كربلاء

والداء التي صبغن بـ(باخمرا) و(فخ)جدائل الرمضاء

يتحدث الشاعر هنا عن (النجف الأشرف) تلك المدينة التي رويت بدماء الأنبياء والأوصياء والشهداء والصالحين ، وهو يخاطب . رملتها . حطاب الجزء للكل فهو يريد لها التمتع طويلا بورودها المسقية من دم الشهادة وايٌّ سقي هو سقي الشهيد ، استحضر الشاعر هنا (الورد الأحمر) للدلالة على الدم مع ذكر (الدم) صراحة ، يضاف لها ذكر مقتل الإمام علي ع و (كربلاء) رمز (الدم) ثم يذكر مواقع وحروب سال فيها دم الشهداء ، كل هذه المدلولات تحيل إلى أهمية النجف الأشرف ومكانتها في نفسه ، فالمدينة التي تقدم القربان تلو القربان لتعيش بكرامة وحرية هي المدينة الفاضلة ن والمدينة التي تسقى كل يوم بذكريات الشهادة لتنتصر هي اليوتوبيا عنده ، وقد نقل مصطفى جمال الدين المكان من واقعه إلى واقعه الفني في اطر نفسية مستدعية أسس الكرامة والحرية والحب والتفاني لدى المتلقي فـ(المكان عندما ينتقل من مداره الواقعي الحياتي المعاش ، إلى مدراه الفني الروائي ، أو الشعري يمر من خلال أنفاق متعددة ، نفسية ، أيديولوجية ، فنية ، لكي يصل أخيرا إلى المدار الفني الشعري) [٢٧].

النتائج

١. استطاع مصطفى جمال الدين التأثير في المتلقي تجاه قضايا مدينته الفاضلة من خلال تأجيج المشاعر بتلك الصور .
٢. وظف الشاعر هذه الصور والإيحاءات بشكل فني رائع .
٣. أفاد الشاعر من استخدامه بعض البحور الشعرية التي تناسب وهذا الموضوع .
٤. بروز طابع الحنين والغربة بشكل واضح وجلي للدلالة على تعلقه بأرضه وتراثه ومدينته .
٥. اليوتوبيا لا تقف عند الذكريات فقط بل تتجاوزه إلى ابعد من ذلك .
٦. –تناول الباحث هذا الموضوع عبر استدعاء النصوص وتحليلها بقراءة شمولية لم تغادرها دقة الرصد للدلالة الموضوعية والفنية .
٧. إن تجربة الشاعر الدينية والأدبية منها في الحياة زادته ثراء فنيا ومن هنا تعددت مضامين شعره وتلونت فضاءات أغراضه.

الهوامش

١. لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر – دار بيروت ،١٩٥٦ ، مادة (مدن) .
٢. معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٢٨ .
٣. الصحاح في اللغة والعلوم : ٤٨٤ .
٤. أزمة المدينة العربية : ١١ .
٥. تاريخ الفلسفة العربية : ٥٦.
٦. جمهورية افلاطون : ٤٠ .
٧. آراء أهل المدينة الفاضلة : ٩٧ .
٨. ابن خلدون ريادة عربية أصيلة في التخطيط المديني والاقليمي : ٣١٥– ٣٢٤ .
٩. المدينة الفاضلة عبر التاريخ : ٧ .
١٠. ظ : ملامح في السيرة والتجربة الشعرية : ٩–١١ .

١١. ظ : المصدر نفسه : ١١.
١٢. شعر مصطفى جمال الدين دراسة فنية : ١٩.
١٣. ظ :اثر المكان في شعر مصطفى جمال الدين : ١٢٦ .
١٤. الديوان : ط٢ ، ٢٠٠٨ ، ج٢،٢٩٩.
١٥. ظ : ميزات المدينة الفاضلة عند جميل صدقي الزهاوي: ٥٤ .
١٦. ظ : يوتوبيا : توماس مور ، ١٤.
١٧. النار دلالاتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي : ٤٤ .
١٨. اللغة الشعرية لشعراء الاهوار ،مصطفى جمال الدين مثالا : ٤٨.
١٩. الديوان : ط٢ ، ٢٠٨.
٢٠. ظ: اللغة الشعرية في روايات لطيفة الدليمي : ١٦٢ .
٢١. ظ: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : ٢٤٤. و ظ أيضا : اللغة الشعرية لشعراء الاهوار : ٥٠ .
٢٢. الأمل و اليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ : ٣٥٨.
٢٣. الديوان : ط١ ، ١٩٩٥ ، ٢٤١.
٢٤. شعر مصطفى جمال الدين دراسة فنية : ١٥ .
٢٥. ظ : النجف الأشرف في ذاكرة السيد الدكتور مصطفى جمال الدين : ٥.
٢٦. الديوان : ط٢ ، ٢١١-٢١٢.
٢٧. جماليات المكان في الرواية العربية : شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ٩٢.

مصادر البحث

١. ابن خلدون ريادة عربية أصيلة في التخطيط المديني والاقليمي : د. خالص الأشعب ، مجلة كلية الآداب ، ع (٢٦) ، حزيران ، ١٩٧٩.

٢. الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي : عبد القادر فيدوح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٢ .

٣. اثر المكان في شعر مصطفى جمال الدين : عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي ، مجلة آداب البصرة ، ع٦٥ ، ٢٠١٣.

٤. آراء أهل المدينة الفاضلة : أبو نصر الفارابي ، تقديم : البير نصري نادر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٩ .

٥. أزمة المدينة العربية :عبد الآله أبو عياش ، ط١ ، مطابع دار القلم ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٠ .

٦. الأمل و اليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ : د.عطيات ابو السعود ، منشورات منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط ١، ١٩٩٧.

٧. تاريخ الفلسفة العربية : جميل صليبا ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ١٩٧٣ .

٨. جماليات المكان في الرواية العربية : شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤.

٩. جمهورية افلاطون : ترجمة : حنا خباز ، ط٣ ، المطبعة العصرية ،١٩٢٩ .

١٠. الديوان : مصطفى جمال الدين ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥.

١١. الديوان : مصطفى جمال الدين ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨.

١٢. شعر مصطفى جمال الدين دراسة فنية : عبد الله فيصل آل ربح ، دار الانتشار ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦.

١٣. الصحاح في اللغة والعلوم :عبد الله العلايلي ، م٢ ، ط١ ، دار الحضارة العربية ، بيروت،١٩٧٤.

١٤. لسان العرب : ابن منظور، دار صادر – دار بيروت ،١٩٥٦ ، مادة (مدن).

١٥. اللغة الشعرية في روايات لطيفة الدليمي : د.سعيد عبد الرضا خميس، م. ألاء قحطان ، مجلة ديالى ، ع٨٥،٢٠٢٠ .

١٦. اللغة الشعرية لشعراء الاهوار ،مصطفى جمال الدين مثالا : علي هاشم طلاب ، جامعة المثنى ، كلية التربية ، مجلة أوروك للأبحاث الإنسانية ، ع٢ ، اب ٢٠٠٩ .

١٧. المدينة الفاضلة عبر التاريخ : برنيري ماريا لويزا ، ت: عطيات أبو الاسود ، منشورات عالم المعرفة ، ١٩٩٧ .

١٨. معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق عبد الحميد هنداوي، باب الميم(م–ك–ن)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١، ٢٠٠٣م.

١٩. ملامح في السيرة والتجربة الشعرية : مصطفى جمال الدين ، المكتبة الأدبية المختصة ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

٢٠. ميزات المدينة الفاضلة عند جميل صدقي الزهاوي: حامد صدقي ، حسين جوكار ، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية ، السنة السابعة عشرة ، ع ١ .

٢١. النار دلالاتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي : د.كامل عبد ربة الجبوري ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، ع٧ .

٢٢. النجف الأشرف في ذاكرة السيد الدكتور مصطفى جمال الدين :د.حسن عيسى الحكيم ،د.ط ،٢٠٠٣ .

٢٣. يوتوبيا : توماس مور، ت : د.انجيل بطرس سمعان ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٧.